

جامعة ابن طفيل
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
شعبة الجغرافيا
الفصل: الثاني

وحدة جغرافية الأرياف

الأستاذة: لمياء البزاري

السنة الجامعية

2025-2024

المحور الثاني: العناصر المكونة للمجال الريفي والعلاقات التي

تربط بينها

2- السكن الريفي

يشكل السكن بالأرياف إلى جانب المجال الفلاحي أحد المكونات الرئيسية للمجال الريفي، وهو مرآة للمحيط الجغرافي الذي يحتضنه: فشكل السكن ومواد بنائه، غالبا ما تتأثر بخصائص هذا المحيط؛ من طبوغرافيا، وبنية جيولوجية (طبيعة المواد المستعملة: أحجار، أتربة...)، وعناصر المناخ والغطاء النباتي. والسكن أيضا مرآة للظروف الاقتصادية والاجتماعية التي أوجدته، ولأساليب عيشها ونمط سكنها (سكن متنقل، سكن قار).

يختلف مفهوم السكن بالأرياف عما هو عليه الأمر في المدن. ففي المدن يعني السكن المسكن أو المنزل، أما في الأرياف فهو وحدة مجالية ووظيفية تضم الرقعة التي يحتلها كل المجال المبني من منازل ومرافق تابعه له خاصة بالنشاط الفلاحي (مخزن للمحاصيل الزراعية، حظيرة لإيواء الماشية، خم للدواجن، مراب للآلات الفلاحية...). على العموم كل المجال المبني يسمى سكنا ريفيا وكل البنيات التي تأوي الإنسان والقطعان والمحاصيل تسمى بيوتا ريفية.

ومن المميزات الرئيسية للسكن الريفي تنوعه الكبير، وتعدد أشكاله المعمارية المرتبطة بالوسط الطبيعي، والإرث الثقافي، والمستوى الاجتماعي، والظروف الاقتصادية. وبذلك فهو انعكاس لكل مكونات المجال الريفي.

2-1 العوامل المؤثرة في تنظيم توزيع السكن الريفي

تؤثر مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية في توزيع السكن الريفي، حيث يتغير توزيعه، وأشكاله وأحجامه. ويمكن حصر هذه العوامل في ما يلي:

أ-العوامل الطبيعية

ارتبط توزيع السكن الريفي بالعوامل الطبيعية: مناخ، تضاريس، تربة...، حيث استقر الإنسان بالفطرة في المواقع الوافرة مياها مستفيدا من مؤهلاتها الترابية التي ساعدته على القيام بأنشطة زراعية. وهكذا قصد الأودية والمنخفضات فتجمعت المساكن على طول الأنهار والجداول، وحول

العيون والآبار و البحيرات. أما في المناطق التي تكثر فيها المياه اضطر السكان إلى التجمع فوق الربوات والمرتفعات تفاديا لخطر الفيضان. كما أن للماء دور حاسم في المناطق الجافة والشبه الجافة حيث يتمركز السكان على طول المجرى المائي في الواحات مبتكرين أساليب لتجميع المياه للتأقلم مع البيئة الجافة.

وتعتبر العوامل الطبيعية السابقة الذكر، من أهم العناصر التي تفسر لنا مختلف الأشكال التي يتخذها السكن سواء على مستوى مواد بنائه، أو هندسته، أو تجمعه، أو تفرقه. وقد تبلورت في أساليب البناء مهارات وخبرات محلية انطلاقا من إكراهات كل وسط وما يوفره من إمكانيات ومواد، وكذلك العادات والتقاليد الاجتماعية لكل منطقة مما يجعل أسماء التجمعات السكانية تعرف اختلافات كثيرة، والمثال المغربي يوضح فكرة العلاقات الموجودة بين السكن والمعطيات الطبيعية المحلية:

* **ففي الواحات المغربية**، غالبا ما نجد سكنا متماسكا يتخذ شكل حصن أو قلعة، حيث أن جميع المنازل محاطة بأسوار، وتعتبر الأتربة المحلية الطين المادة الأولى المستعملة في البناء. وتعرف الجدران في هذه المناطق بجدران اللوح، يطلق عليها محليا اسم التابوت، وهي جدران سميكة من 40 إلى 50 سنتم أو أكثر تساعد على سرعة البناء كما يساعد العلو على الوقاية من الحرارة والبرودة، ويطلق على هذه التجمعات السكنية اسم القصر أو إغرم.

* أما مناطق **جبال الأطلس** فيكون البناء بواسطة التربة والحجارة، الشيء الذي يعطي لهذه المنازل شكلا مختلفا عن مثيلتها في الصحراء. تحتل هذه البنايات في الغالب أماكن طبوغرافية مميزة: ربوات تلال. مما يجعل القرى تتخذ مواقع دفاعية ووقائية، وتعرف هذه التجمعات في الأطلس باسم "اغرم" أو "الدوار".

* **في جبال الريف** تحمل التجمعات السكنية اسم الدشر وتنطق "تشار". تستعمل الحجارة والأتربة المحلية في بنائها، وتبلىط الجدران بمزيج من التربة والطين "اشقالية"، وتكون السطوح مائلة لتسهيل عملية انسياب مياه التساقطات.

انطلاقا من هذه المعطيات يتبين لنا العلاقة الموجودة بين السكن الريفي والعوامل الطبيعية والتي تتجلى في مختلف الطرق التي تتخذها الجماعات البشرية للتكيف و التغلب على هذه المؤثرات.

ب-العوامل البشرية

من بين أهم هذه العوامل هناك التاريخ، فالتاريخ يلعب دورا حاسما في كيفية استقرار السكان بمواضع دون غيرها، أو استبدال موقع بآخر، لأسباب يتعلق بعضها بظروف السلم، والبعض الآخر بالأمن. ففترات السلم غالبا ما تساعد على تشييد سكن متفرق في شكل بنايات متفرقة ومعزولة، لشعور أصحابها بالأمن على أنفسهم. في حين عرفت فترات بالأمن بتجمع السكن، وتحصنه وراء الأسوار والخنادق، والاعتصام بالمواقع المنيعة بهدف الدفاع المشترك والتصدي للغارات. كما يمكن اعتبار عامل الاستعمار أحد العوامل التاريخية المؤثرة في السكن، والمتمثل في طرد السكان إلى المناطق الفقيرة الهامشية أو إلى تجميعهم قصد مراقبتهم.

أما العامل الديني فيبرز واضحا في القرى التي ينتمي أصل سكانها إلى زاوية معينة، حيث تقوم هذه الأخيرة بدور فعال في جمع عناصر أفراد القرية تحت نفوذها الديني، إلى حد جمع عدد من السكان حولها، يطيعونها ويخدمونها لوزنها الديني والاجتماعي في القبيلة. ففي المغرب ساهمت ظاهرة الزوايا في تجمع السكن حول الأضرحة، ومقرات هذه المؤسسة، ذات الوظائف الدينية والاجتماعية، ومن تم نجد عدة قرى مغربية تعرف باسم شخص متدين ومتصوف كان له الوزن الديني والاجتماعي في القرية (زاوية سيدي عبد السلام، زاوية الشيخ بني ملال، سيدي سليمان...).

ج-العوامل الاقتصادية

تعتبر العوامل الاقتصادية من أهم العوامل المفسرة للسكن. يختلف تأثير هذه العوامل حسب البنية الاجتماعية والاقتصادية. يكون السكن متجما في إطار المجتمعات الزراعية ذات النظام الأبوي أو الجماعي. يطرح شكل استغلال المحاط ضرورة التجمع وقد ساد هذا النمط في العصور الوسطى أي ارتبط بنمط الإنتاج الفيودالي.

لكن تطور أنماط الإنتاج وأساليب الاستغلال الفلاحي أدى إلى تطور السكن. فظهرت أنماط سكانية إما متجمعة أو متفرقة مرتبطة بأنظمة اقتصادية حديثة: مثلا في الاقتصاد العصري الرأسمالي، ينجح السكن إلى التشتت تبعا لتركز ملكية الأرض أو إلى التجمع تبعا لنوعية التخطيط للاستفادة من مجموعة من الخدمات: كالنقل والكهرباء والماء وبناء السدود وتسويق الإنتاج الفلاحي أو في إطار تعاونيات الإصلاح الزراعي، أو بدافع سياسي كمراقبة الدولة للرحل أو أنصاف الرحل.

تؤثر العوامل الاقتصادية أيضا على السكن الريفي في ما يتعلق بعملية المحافظة على المحاصيل الزراعية، فحجم السكن يختلف حسب أهمية النشاط الفلاحي وأنواع منتوجاته، فمثلا في المناطق المنتجة للعنب في جنوب فرنسا نجد أن جل المساكن تحتوي على سرداب خاص لخزن الخمر.

وعلى العموم، يمكن الجزم بأن السكن القروي أصبح اليوم مكونا أساسيا من مكونات الرأسمال المادي واللامادي للمجال الريفي، بالنظر إلى ما يميزه من غنى وأصاله على مستوى أشكال البناء، وما يزر به من خبرات ومعرفة محلية ملائمة بيئيا ووظيفيا لخصائص الأوساط القروية وتنوعها.

2-2 أنواع السكن الريفي

تختلف الطريقة التي تتوزع بها التجمعات السكنية في المجال الريفي، وتتباين من حيث أحجامها. فهي في غالب الأحيان تأخذ أشكال غير منظمة لكنها قد تتخذ أشكالا معينة تختلف حسب البلدان وحسب تدخل بعض المعطيات المحلية كالطرق و الأنهار وشكل الحياة وغيرها.

1-2-2 السكن الريفي المتفرق

يكون السكن متفرق عندما تكون المنازل منعزلة بعضها عن البعض تفصل بينها حقول ومراعي أو أراضي فارغة. هذا السكن نجده في مجالات ريفية متعددة لكنه يبقى الشكل المهيمن بالمجالات السهلية.

يختلف السكن المتفرق حسب حدة تباعد البنايات ويصنف إلى:

- السكن المتفرق غير المنتظم: يكون مبعثرا بشكل عشوائي في المجال ولا يخضع لأي تنظيم.
- السكن المتفرق المنتظم: يخضع لشكل هندسي، ظهر حديثا وارتبط أصلا بالإصلاحات الزراعية ويخضع لمنطق العقلنة الزراعية.



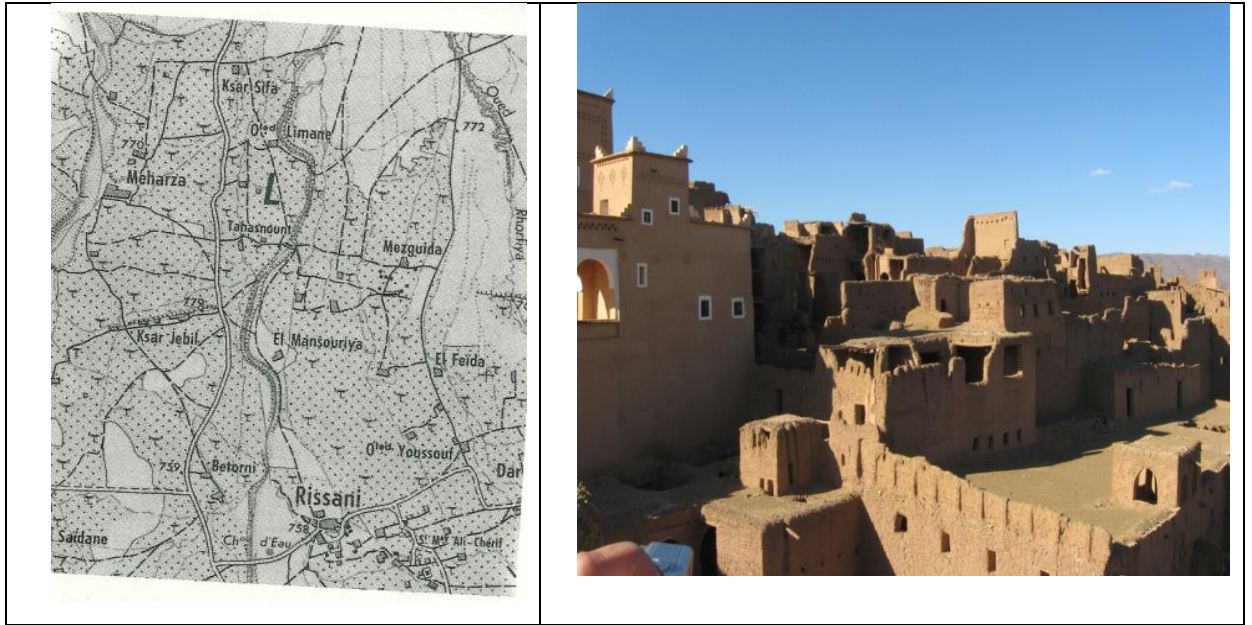
2-2-2 السكن الريفي المجتمع

اسمه يدل على شكله، وهو نمط تتقارب فيه البيوت بشكل كبير أو يلتصق بعضها ببعض، أو تفرق بينها مسالك وممرات ضيقة. هناك أصناف عديدة من السكن المتجمع تختلف باختلاف أحجام التجمعات وكذلك ارتباطا بكثافة المباني، وبهذا يصنف السكن المتجمع حسب كثافته وشكله إلى:

*** حسب الكثافة:** إذا أخذنا الكثافة كمعيار فيمكن التمييز بين ثلاثة أشكال رئيسية:

-السكن المتراس: أي أن البنايات متراسة مع بعضها البعض لا توجد بها مساحات فارغة. وبدوره ينقسم إلى سكن متراس مغلق وهو الذي تحيط به أسوار ويتوفر على باب واحد أو أكثر كالسكن في الواحات. والسكن المتراس المفتوح تكون البيوت فيه متراسة لكن غير محاط بأسوار.

السكن المتراس



السكن المتراس المفتوح



-السكن المتزاحم: يكون السكن متزاحما إذا كان الاتصال بين البيوت يتم إما مباشرة بحيث تلتصق الجدران ببعضها، أو بواسطة المرافق التابعة لهذه البيوت.

السكن المتزاحم



-السكن المفكك: يكون السكن مفكك إذا كانت البيوت ومرافقها منفصلة عن بعضها بسبب وجود ساحات قد تكون بيادر (النادر) أو مطامير.

السكن المفكك

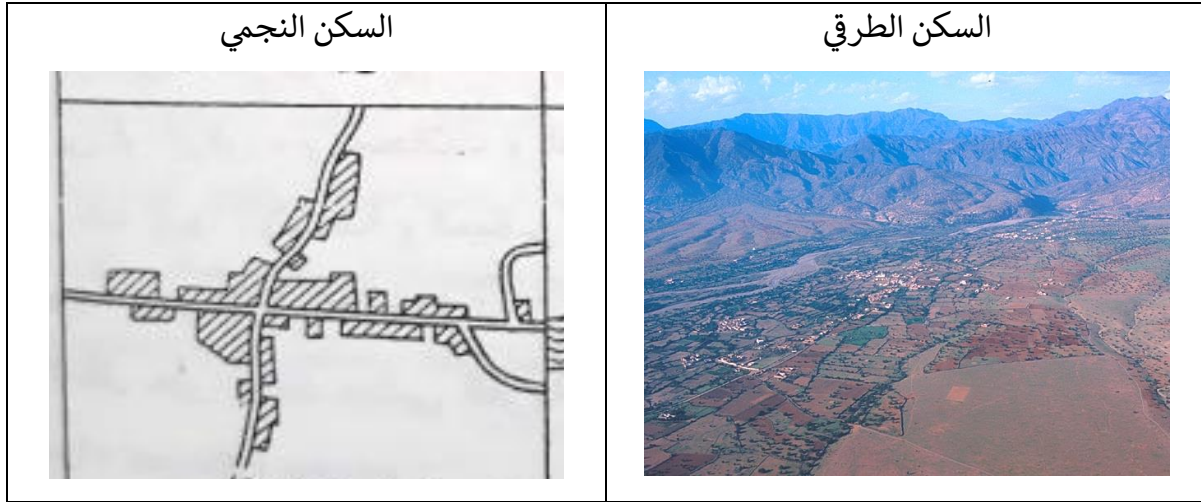


***حسب الشكل:** يتخذ السكن أشكالاً متنوعة منها ما هو خطي ومنها ما هو مجموع.

الأشكال الخطية: ويتخذ هذا الشكل الخطي أنواعاً وهي:

سكن طريقي: وهو نوع من السكن يتميز باصطفاف منازل على طول الطريق.

السكن النجمي: عندما تصطف المنازل حول الطرق المتقاطعة مع طريق رئيسية وتتخذ المنازل "شكل نجمة".



الشكل المجموع: وهو السكن المجتمع في مكان ما بدون أن نستطيع حصر نظام معين فيه، ومثل هذا السكن يكون في غالب الأحيان ملموماً. وفي أحيان أخرى يمكن تحديد أشكال هندسية أو شبه هندسية في مثل هذه الأشكال الملمومة ومنها:

القرى المستديرة: عندما يتخذ السكن شكلاً دائرياً حول بئر أو ساحة عمومية رئيسية... وتوجد خاصة في المناطق الجافة...

قرية مستديرة



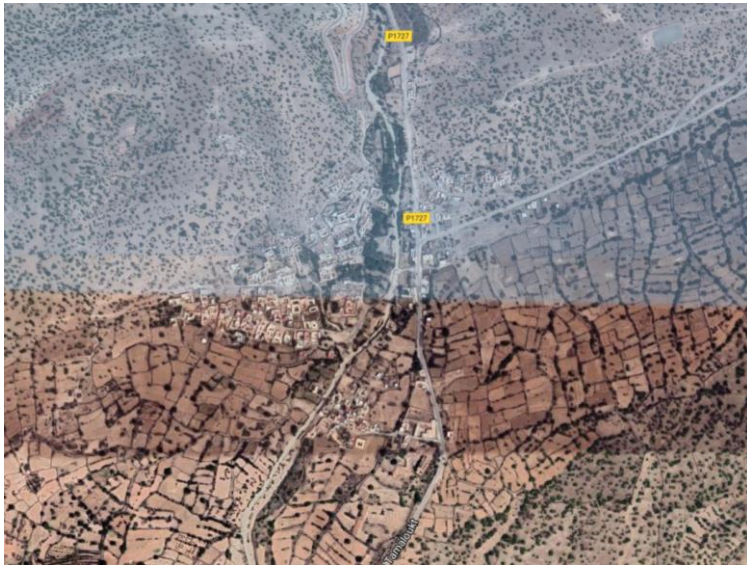
القرى الهندسية: يكون السكن منظم على شكل هندسي يخضع لتخطيط مسبق ويكون ناتج عن تدخل الدولة.

قرية هندسية



قرية سديمية: عندما تتوفر القرية على أشكال متعددة من الأشكال المذكورة سابقا، أي عندما تتألف القرية من عدة أجزاء منها ما هو خطي ومنها ما هو مجمع... وهي غالبا ما تكون ناتجة عن تطورات مختلف مراحل نمو القرية عبر التاريخ، مثلا: 1- وجود قرية حول منعطف نهر بين منطقتين. 2- توسع حول الطريق على النهر. 3- التوسع في السكن.

قرية سديمية



يعكس السكن الريفي عموما نمط العيش ويعتبر نتاجا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا لمالكيه.